العدول الصرفيّ في شعر الأفوه الأودي

د. سوسن عبد الحسن عجيل/ جامعة واسط/ كلية الآداب قسم اللغة العربية
shezam@uowasit.edu.iq

تاريخ الاستلام :١٦/ ٦/ ٢٠٢٠

تاريخ القبول : ٢١/ ٦/ ٢٠٢٠

الخلاصة :

يعدّ العدول الصرفي ظاهرة لغوية لها أهميتها في اللغة العربية؛ فالعدول عن بناء صرفيّ إلى بناء آخر لا بدّ من أن يؤدي إلى العدول من معنى إلى معنى آخر. وتكمن أهمية العدول الصرفيّ في كونه يربط علم الصرف بعلم الدلالة، فضلا عن كون المحور الاساس الذي يقوم عليه هو قضية اللفظ والمعنى، التي لا يخفى ما لها من أهمية للغة العربية. ويبين العدول الصرفي كيفية حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن اللفظ الواحد ذي الصيغ المختلفة، ولم يكن العدول الصرفي في الغالب لمخالفة قواعد اللغة، بل لأغراض معينة فكل خطاب لابد من أن يكون ملائما لحال المتلقي، لذا وجب في لغة الخطاب بوصفها أداة للتواصل أن لا تتضمن ما يقف حائلا دون التواصل.

لذا نحاول في هذا البحث (العدول الصرفي عند الأفوه الأودي) أن نبيّن أهم جوانب العدول الصرفي عند شاعر من شعراء العصر القديم (العصر الجاهلي)، الذي امتاز بقدرته على التحكم بصياغة الألفاظ مع ما يتناسب مع المعنى، وذلك ببيان الصيغ المعدول عنها والصيغ المعدول إليها ولاسيما الصيغ المشتقة في سياق واحد. وقد وجدنا في شعره كثيرا من العدول في صيغ المشتقات ولا سيما اسم الفاعل فكثيرا ما نجده يعدل عن صيغة اسم الفاعل إلى اسم المفعول أو إلى المصدر أو إلى صيغ المبالغة كـ(فعيل وفعول وفعّال)، فكان عدوله عن اللغة المعيارية إلى صيغ مختارة فيها خصوبة في الدلالة وتوسيع للمعنى، وما كان ذلك إلا لإضافة قيم دلالية للمتلقي تتناسب مع سياق الخطاب.

وكذلك كثيرا من العدول في صيغ الجمع، التي تنوعت في العدول عن الكثرة إلى القلة أو العكس والعدول عن المفرد إلى الجمع أو العكس، والعدول في الحذف والزيادة في صيغ الأسماء والأفعال.

وكان المنهج المتبع في ذلك المنهج الوصفي التحليلي، الذي قام على وصف الظاهرة ومن ثم تحليلها وتحديد العدول وألفاظه وتفسير ذلك دلاليا.

لكلمات المفتاحية: العربية، العدول الصرفي، الدلالة الصرفية، الصيغة، الصرفية، المشتقات، اسم الفاعل، اسم المفعول، المصدر صيغ الجمع، الحذف، الزيادة.

Morphological retraction at the Alafuh aluwdii

Prof. Sawsan Abdulhassan Ajeel.

University of Wassit/ faculty of arts department of Arabic language

shezam@uowasit.edu.iq

Abstract

Summary of the research Morphic retreats is a linguistic phenomenon that has significance in the Arabic language, so refraining from morphological construction to another structure must lead to a change from one meaning to another meaning.The importance of morphological justice lies in the fact that it connects the science of exchange with the science of semantics, in addition to the fact that the primary axis upon which it is based is the issue of pronunciation and meaning, whose importance of the Arabic language is not hidden. The morphological revision shows how the different meanings obtained from the same word appear in the different formulas, and the morphological count was not mostly for violating the rules of language, but rather for specific purposes. Each letter must be appropriate to the condition of the recipient, so the rhetoric as a tool for communication must not include what Standing without communication. Therefore, we are trying in this research (morphological revision at the Alafuh aluwdii) to show the most important aspects of morphic justice among a poet of the ancient era (pre-prehistoric poet), who was distinguished by his ability to control the formulation of words with what is appropriate with the meaning, by showing the formulas that are modified from them and the formulas modified to them Especially the formulas derived in one context. We found in his poetry a lot of modification in the formulas of derivatives, especially the name of the subject, so we often find that he changes the formula of the subject's name to the verb name or to the source or to the formulas of exaggeration as an act, an actor and an effective one. The meaning, and that was only to add semantic values to the recipient commensurate with the context of the speech as well as many of the equations in the plural formulas, which varied in refraining from abundance to a few or vice versa and refraining from the singular to plural or vice versa, and the refusal to delete and the increase in formulas of names and verbs,

Key word: Morphological retraction, Morphological significance, duplex derivatives, name of subject, name of the benefit, the source, plural formulas, deletion, the increase

المقدمة :

امتازت العربية بامتلاكها أبنية صرفية قابلة للتحويل والتغيير(زيادة أو حذفًا)، ولهذا التحويل والعدول أثر كبير في الدلالة، فكل صيغة صرفية لها دلالاتها الخاصة بها التي تميزها عن غيرها، وعند التحويل أو العدول عن صيغة إلى أخرى في سياق معين لابد من أن يؤدي هذا العدول في الصيغ إلى عدول في الدلالة، لذا فقد اهتمّ علماء العربية قديما وحديثا بقضية العدول ولا سيما العدول الصرفي لأهميته في تحديد الدلالة.

وهذا العدول يتمثل في الخروج عن الأصول والقواعد المستنبطة من كلام العرب ولاسيما الشعر الذي يمثل مصدرا مهما لقواعد اللغة وأصولها، غير أن هناك كثيرا من الشعراء من حاول الخروج عن هذه الأصول بزيادة في اللفظ أو حذف أو تغيير في بنية الكلمة مراعاة لسياق الكلام ولمقتضى حال المخاطب والمتكلم، فكان للعدول أسباب دلالية تعبيرية ونفسية وسياقية فضلا عن الحفاظ على الوزن العروضي للشعر وسلامة القافية. وهو يمثل حاجة بيانية وتداولية كفيلة بتطويع اللغة وجعلها سائغة عند كل أصناف المتلقين.

لذا نحاول في هذا البحث (العدول الصرفي عند الأفوه الأودي) أن نبيّن أهم جوانب العدول الصرفي عند شاعر من شعراء العصر القديم (العصر الجاهلي)، الذي امتاز بقدرته على التحكم بصياغة الألفاظ مع ما يتناسب المعنى، وكان شعره يقع ضمن المدة الزمنية التي وضعها علماء العربية للاحتجاج بالشعر. وذلك ببيان الصيغ المعدول عنها والصيغ المعدول إليها ولاسيما الصيغ المشتقة في سياق واحد.

فكان أهم أهداف البحث الوقوف على العدول الصرفي عند الأفوه، وقد تمثل بالعدول في صيغ المشتقات والعدول في صيغ الجمع وصرف الممنوع من الصرف، والعدول بالحذف والزيادة في صيغ الاسماء والأفعال، وقد دعت طبيعة البحث إلى الاقتصار على عدد من الأمثلة لبيان أبرز جوانب العدول عند الشاعر.

وكان المنهج المتبع في ذلك المنهج الوصفي التحليلي، الذي قام على وصف الظاهرة ومن ثم تحليلها وتحديد العدول وألفاظه وتفسير ذلك دلاليا.

العدول الصرفي في شعر الأفوه الأودي

يعدّ العدول الصرفي ظاهرة لغوية لها أهميتها في اللغة العربية؛ فالعدول عن بناء صرفيّ إلى بناء آخر لا بدّ من أن يؤدي إلى العدول من معنى إلى معنى آخر. وتكمن أهمية العدول الصرفيّ في كونه يربط علم الدلالة بعلم الصرف، فضلا عن كون المحور الاساس الذي يقوم عليه هو قضية اللفظ والمعنى، التي لا يخفى ما لها من أهمية للغة العربية. ويبين العدول الصرفي كيفية حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن اللفظ الواحد ذي الصيغ المختلفة، فاختلاف المعاني هو في الأصل راجع إلى اختلاف الصيغ، فكل صيغة يعدل عنها إلى صيغة أخرى تحمل في طياتها معنى لا تحمله الصيغة الأولى، فكل صيغة صرفية لها دلالات خاصة تميزها عن غيرها.

وظاهرة العدول الصرفي قديمة في العربية، اهتم بها علماء العربية قديما وحديثا، لجأ إليها العرب قديما وأطلقوا عليها مصطلحات مختلفة كالانحراف والعدول ونقض العادة وشجاعة العربية والاتساع والالتفات وغيرها (ابن جني، ١٩٥٢م، ١/١٥٢- ١٥٣، ١٥٥، ١٩٥٧م، ٣/ ٢٦٧- ٢٦٨).

وقيل العدول: ((هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الاخبار وعن الاخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك من الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر)) (ابن المعتز،١٩٨٢م، ٥٨).

وفي الدراسات الحديثة أطلق عليه الانحراف والانزياح والانحلال والانتهاك والتجاوز والمخالفة واللحن وخرق السنن والإطالة والتحريف (عبد السلام المسدي، ١٠٠-١٠٢)

والعدول الصرفي عندهم هو: ((ترك الوزن القياسي لوزن آخر لدلالة معنوية لا يتضمنها الوزن الأول وهذه الزيادة في الحروف وفق أوزان وصيغ معروفة في اللغة العربية بالاشتقاق)) (عبد القادر عبد الجليل، ٢٠٠٢م، ٣٢٤)

ولم يكن العدول الصرفي في الغالب لمخالفة قواعد اللغة، بل لأغراض معينة فكل خطاب لابد من أن يكون ملائما لحال المتلقي، لذا وجب في لغة الخطاب بوصفها أداة للتواصل أن لا تتضمن ما يقف حائلا دون التواصل، ولأن اللغة النمطية لا يمكنها أن تفي بالحاجة التواصلية للمتلقي فإن العدول الصرفي حاجة بيانية وتداولية كفيلة بتطويع اللغة وجعلها سائغة عند كل أصناف المتلقين ولما كان المخاطب هو صاحب الخطاب ومصدره وهو الأحرص على نجاحه في التواصل مع الآخرين لذا كان حريصا جدا في انتقاء ما يراه مناسبا من عناصر اللغة وأساليبها. (عبد الناصر مشري، ٢٠١٤م، ٣٥٥)

والعدول الصرفي في العربية يتمحور حول نوعين هما:

العدول عن الأصل: ((إذ إن هناك مفردات تحمل معاني الصيغ الأخرى أو تأتي الصيغة المفردة على لفظ صيغ أخرى وهي بمعناها، ويظهر هذا الوجه في المصادر والمشتقات)) (عبد القادر عبد الجليل،٢٠٠٢م، ٣٢٤)

والعدول عن القياس: ((ويتحقق هذا الوجه من العدول بين صيغتين تكون الصيغة الثانية بخلاف الصيغة الأولى وفق قانون القياس الصرفي وهو في الحقيقة خروج عن القاعدة المطردة ويكون ذلك في الأفعال ومشتقاتها)) (عبد القادر عبد الجليل،٢٠٠٢م، ٣٢٤)

ونحاول في هذا البحث الكشف عن العدول الصرفي في شعر الأفوه الأودي، وذلك ببيان الصيغ المعدول عنها والصيغ المعدول إليها ولاسيما الصيغ المشتقة في سياق واحد، إذ إن الاشتقاق والسياق هما المحددان لأنواع العدول الصرفي فكل صيغة صرفية لها دلالات خاصة بها تميزها عن غيرها.

وبعد استقراء ديوان الشاعر وجدنا العدول الصرفي عنده يمثل ظاهرة بارزة، وكثيرا ما كان هذا العدول في صيغ المشتقات، وصيغ الجمع، والحذف أو الزيادة في صيغ الاسماء والأفعال، وصرف الممنوع من الصرف أو العكس، وتأنيث المذكر وتذكير المؤنث، وكما يأتي:

العدول في صيغ المشتقات:

استعمل الأفوه صيغًا ذات دلالات مختلفة على أوصاف مشتقة من جذر واحد؛ وذلك لتتطابق مع سياق الخطاب، ومن هذه الصيغ اسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة التي لكل منها دلالة خاصة في المبالغة.

فاختلاف الصيغ لابد من أن يؤدي إلى اختلاف الدلالة، والعدول عن صيغة إلى أخرى مصحوب بعدول عن دلالة إلى أخرى، وكل عدول في الصيغ هو عدول عن الدلالة إذ إن لكل مبنى صرفيّ دلالته الخاصة به، وأحيانا تأتي الصيغ بمعنى واحد وتختلف في البناء وهذا ما يعرف بالترادف في الصيغ كأن تأتي صيغة بمعنى صيغة أخرى أو تذكر الصيغتان ويقال أنهما بمعنى واحد أو تكون الصيغة قد نقلت من معنى إلى معنى آخر.

وقد وجدنا في شعر الأفوه كثيرا من العدول في صيغ المشتقات ولا سيما اسم الفاعل فكثيرا ما نجده يعدل عن صيغة اسم الفاعل إلى اسم المفعول أو إلى المصدر أو إلى صيغ المبالغة كـ(فعيل وفعول وفعّال)، فكان عدوله عن اللغة المعيارية إلى صيغ مختارة فيها خصوبة في الدلالة وتوسيع للمعنى، وما كان ذلك إلا لإضافة قيم دلالية للمتلقي تتناسب مع سياق الخطاب.

ومن المعروف أن دلالة اسم الفاعل تأتي تأكيدا لوقوع الحدث وإثباتا له، وهي لا تسمو سمو صيغة فعيل من حيث الزيادة في المعنى قوة وتكثيرا، التي تكون لمن دام فيه الفعل أو لمن كان قويا على الفعل أو لمن كثر منه الفعل، والمصدر فيؤتى به للمبالغة في الوصف.(السامرائي،٢٠٠٧، ٤١– ٤٢)

أما صيغ المبالغة فقيل: ((فعول مثلا لمن كثر منه الفعل وفعّال لمن صار له كالصناعة، ومفعال لمن صار له كالآلة وفعيل لمن صار له كالطبيعة وفَعِل لمن صار له كالعادة)) (عبد الهادي الشهري، ٢٠٠٤م، ١١٩).

ومما وجدناه من عدول في صيغ المشتقات في شعر الأفوه كان كثيرا اقتصرنا على عدد منها وهي كما يأتي:

العدول عن اسم الفاعل إلى صيغ المبالغة (فعيل، وفعّال، وفَعول):

فصيغة (فعيل) هي فاعل في الاصل تحولت إلى فعيل للمبالغة في الوصف، وهي من الصيغ كثيرة الدوران في العربية تأتي للدلالة على المبالغة والشدة والقوة في الوصف، ومما عدل فيه الأفوه عن (فاعل) إلى (فعيل) ما جاء في قوله:

وطاروا كالنعام ببطن قَوٍ مُواءِلةً على حذر الرقيبِ

ومعنى البيت: ((ومن ذعرهم طاروا كما يطير النعام في ذلك الوادي طلبا للنجاة من أعين الرقباء التي تتبعها)) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٦٠)

فالشاعر هنا جاء بصيغة (فعيل) فقال (الرقيب) وعدل عن الفاعل (المراقب) فزاد المعنى مبالغة في الوصف إذ لا يقال (رقيب) إلا لمن كان كثير المراقبة وهذه المراقبة ثابتة دائمة فيهم ولم تكن أمرا عارضًا، وهذا ما أكدته صيغة (فعيل) التي تدل

على ثبات الصفة أكثر من صيغة (فاعل)، فضلا عن دلالتها على المبالغة والكثرة بمعنى أن هناك كثيرا من الرقباء أي أن أبناء قومه كثيرو العدد أو كثيرو المراقبة لأعدائهم.

ومنه قوله في الفخر والحكمة:

حتى حَنَى منّي قناة المَطا وعمَّمَ الرأسَ بلونٍ خَليسْ

فهو يبين هنا فساد الزمان وما فعل برأسه وكيف حنى ظهره وقوّسه وغطّى رأسه باللون الأبيض. (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٢)

وقد عدل عن اسم الفاعل (مُخْلِس) إلى (فَعيل) (خليس) للدلالة على ما فعله به الزمان وكيف أدّى إلى بياض شعره، فتحوّل لون الشعر من الأسود إلى الأبيض من آثار أهوال الزمن، وكأنه أراد بهذه الصيغة (خليس) أن يؤكد أن هذه الصفة ثابتة غير عارضة، كما يؤكد المبالغة والكثرة في تغير لون شعره.

وقوله: فقد أُفدّى عند وقع القنا وأُدَّعى من المقام البئيس

فمازال الشاعر هنا يبين ما حلّ به بعد الكبر، ((إذ يرى أنه مع ما قد حلّ به فإنّ حوله رجالاً يفدونه بأرواحهم عند تشاجر الرماح في الحرب ويعلون من مقامه البائس)). (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٢)

وقد عدل عن اسم الفاعل (بائس) إلى (فعيل) (بئيس) لبيان شدة الضرر وقوته الذي لحقه بعد الكبر فهو يصوّر بؤس مقامه وعدم رضاه على ما حلّ به إذ كان من أشراف قومه وقادتهم أما الآن فلا يستطيع المشاركة في حروب قومه ومواجهة الأعداء، وجاء بصيغة (فعيل) ليبين أن هذا الأمر ثابت لا يمكن أن يتغير فأحداث الزمان لا يمكن تغييرها، كما أراد أن يبين أن مقامه هذا ليس بائسا بذاته بل بفعل الزمن وصروفه.

ومنه قوله: بِمَهْمَهٍ ما لأنيسٍ به حِسّ وما فيه له من رَسيس

فالشاعر هنا يعود إلى ((وصف البيداء فهو في مفازات شاسعة واسعة لا مؤانس فيها ولا أي خبر)) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٧).

وقد عدل عن صيغة اسم الفاعل (مُؤانس) إلى صيغة (فعيل) (أنيس) وقيل: ((الأنيس المؤانِسُ وكلّ ما يؤنسُ به)) (ابن منظور،(أنس) ١٦/٦).

أراد أن يبين شدة وحشته ووحدته في هذه المفازة وذلك لخلوها ممن يؤانسه ويأنس به، إذ ليس فيها ما يزيل عنه هذه الوحدة والوحشة، وكأنه أراد بذلك أن يبين حاله بعد ابتعاد أبناء قومه عنه وتركهم له بعد كبره، شبه حاله بين قومه بهذه المفازة التي لا أنيس فيها.

ومن عدوله عن اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة (فعّال) ما جاء بقوله:

كأنها عدّاءة هَيْضَلٌ حولَ رئيسٍ عاصِبٍ بالرئيس

فقد عدل عن عادية إلى عَدّاءة، وذلك لأن صيغة اسم الفاعل لا تبلغ الغاية في الزيادة بالمعنى قوة وكثرة ما تبلغه صيغة (فعّال) التي تستلزم المداومة.

والشاعر هنا يصف الإبل التي غنمها قومه من أعدائهم ((وكأن هذه الإبل لكثرتها وقوتها كتيبة مسلحة ملتفة بعضها على بعض حول رؤسائها)) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٦)، فالمقام هنا هو بيان القوة والكثرة لذا عدل إلى صيغة (فعّال) التي تدل على الكثرة والقوة والاستمرارية وعدم الانقطاع وهي ملازمة لهذه السرعة مداومة عليها.

وقوله: أيُّها الساعي على آثَارِنا نحن مَنْ لَسْتَ بِسَعّاءٍ مَعَهْ

فالشاعر يفتخر ((مخاطبا من يريد السير على خطاهم ويقول له إننا لا نقبل أن يجارينا أحد ولسنا من الّذين يجرؤ أحد على السير بخطانا)) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٩٠)

ونجده هنا في مقام يتطلب منه المبالغة في الوصف لذا عدل عن (فاعل) (ساعٍ) التي ذكرها في صدر البيت إلى صيغة (فَعّال) فقال (سَعّاء) المسبوقة بالنفي لتأكيد الأمر على من يحاول مجاراتهم ومن يجرؤ على السير على خطاهم مهما حاول وأكثر من سعيه حتى أصبح هذا السعي كالصنعة له وأصبح مداوما عليه فإنه لا يستطيع مجاراتهم. وهذا التأكيد والمبالغة في الأمر لم يتحقق لولا عدوله إلى صيغة (فعّال).

ومن عدوله عن اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة (فَعُول) ما جاء بقوله:

إمّا تَرَيْ رأسي أزرى بهِ مَأْسُ زمانٍ ذي انتكاسٍ مَؤوس

فقد عدل إلى صيغة (فَعول) فقال (مَؤوس) للدلالة على الدوام والكثرة ((فما حلّ به بسبب الزمن من فساد دائم لا زوال له وهو فساد أثّر فيه كثيرا حتى حنى ظهره وقوسه وغطى رأسه باللون الأبيض وهذا الفساد دائم لا يرتجى تغييره)) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٢)

فالمأس هو الفساد، قيل: ((وقد مَسأ ومَأَسَ بينهم يَمْأَسُ مَأْسًا ومَأَسًا أفسد)) (ابن منظور، (مأس) ٢١٣/٦).

ولم يأتِ بصيغة اسم الفاعل (مائس) لأن المقام يقتضي المبالغة والاستمرار وعدم الزوال التي لا تجدها بصيغة (فاعل) من حيث الزيادة في المعنى قوة وكثرة كما هي عليه في صيغة (فَعُول).

العدول عن اسم الفاعل إلى اسم المفعول:

إذ نجده يعدل عن اسم الفاعل الذي يدلّ على من قام بالفعل أو الدال على الحدث إلى صيغة اسم المفعول التي تأتي تأكيدا لوقوع الحدث وإثباتا له. ومنه ما جاء بقوله: فارسٌ صَعْدَتُهُ مَسمُومَةٌ يَخْضِبُ الرمحَ إذا طَارَ الغبار

فقد أحلّ اسم المفعول (مسمومة) محلّ اسم الفاعل (سامّة) ((فهذا الفارس ذو رمح مسموم إذا حمي وطيس الحرب وثار غبار الوغى روّى رمحه بدمائكم)) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٧٦).

فالرمح ليست سامّة بذاتها بل هو من وضع فيها السم وهو هنا أراد أن يشير إلى شجاعة حامل الرمح فهو الّذي يسمّ الأعداء برمحه، لذا جاء بصيغة اسم المفعول تأكيدا لوقوع الحدث وإثباتا له.

ومثلما عدل عن اسم الفاعل إلى اسم المفعول نجده أحيانا يعدل عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل كما في قوله:

مستَطيرٌ ليس من جَهلٍ وهل لأَخي الحِلم عن الحرب وقار

فهو يرى ((أن هذا الفارس مذعورا ليس لأنه جاهل في الأمور بل لأنه غيور على وطنه)) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٧٦).

فجاء بصيغة اسم الفاعل (مُستطِير) من استطار بدلا من صيغة اسم المفعول (مُستطَار) للدلالة على أن ذُعر هذا الفارس كان من ذاته ومن داخله وليس من شيء خارجي أي لم يكن هناك من يخيفه، بل كان خوفه نابعا من نفسه فهو لا يخاف الأعداء ولا يخشى الحرب، فكان خوفه غيرة على وطنه، ولو جاء بصيغة اسم المفعول (مستطار) لدلّ ذلك على أن الفارس كان خائفا مذعورا من الأعداء.

وكذلك نجده يعدل عن صيغة اسم المفعول إلى صيغة (فعيل) التي هي أبلغ من مفعول في الوصف وأشدّ، فصيغة (مفعول) تحتمل القوة والضعف، والقلة والكثرة في الوصف أما (فعيل) فإنها تفيد القوة والكثرة والمبالغة في الوصف.

ومن عدوله عن (مفعول) إلى (فعيل) ما جاء بقوله:

ولا أَخُوا تَيْهَاءَ ذو أربعٍ مثلَ الحصى يَرْعَى خَلِيْسَ الدَّرِيس

إذ يفخر بقومه ((حين لم يتركوا دابة ذات أربع إلا استاقوها وكانت كثيرة العدد ترعى)) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٨) فالشاعر هنا أراد أن يبين كثرة الدواب التي أخذها قومه من أعدائهم فجاء بصيغة (فعيل) (دريس) التي تدلّ على الكثرة والمبالغة بدلا من (مفعول) فلم يقل (مدروس) كونها تحتمل القليل والكثير.

ومنه قوله: يغشى الجلاميد بأمثالها مُركّباتٍ في وظيفٍ نَهِيس

فجاء بصيغة (فعيل) (نهيس) وهو (قليل اللحم خفيفه) (ابن منظور، ٦/٢٤٤)

فالمقام هنا في وصف ((قوة جواده بأنه يقذف الصخر بحوافر كالصخر وهو يتقدم بعنف تحمله أطراف نحيلة قليلة اللحم، دليلا على سرعته وخفته)) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٨(

فجاء بصيغة (فعيل) ليبين أن هذه الخفة والسرعة هي صفات متأصلة بجواده دائمة غير زائلة ولم يكتسبها بل كانت كالطبيعة المستمدة من ذاته وليست خارجة عنه.

وقوله: نظلُّ غيارى عند كلّ ستيرةٍ نُقلّبُ جيدًا واضحًا وشوىً عَبْلا

فقال: (ستيرة) وهي المرأة المستورة للمبالغة في وصف ستر نساء قومه وإن هذا الستر واقعٌ، ((فهن مستورات عن الأعداء بسبب غيرة رجال قومه))(الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ١٠١). لأن (فعيل): ((لا يطلق إلا إذا اتصف به صاحبه، فلا يقال أسير إلا إذا أُسِرَ في حين أن مفعول قد يطلق على ما اتصف به صاحبه أو لم يتّصف بمعنى أنه سيتصف به)). (السامرائي، ٢٠٠٧م، ٥٥).

فعدل بـ(فعيل) (ستيرة) عن (مستورة) لأن (فعيل) تدل على ثبوت الصفة في صاحبها وأنّ هذا الستر واقع وكأن هذا الستر متأصل في نساء قومه ثابت لا يمكن إزالته بسبب غيرة أبناء قومه.

العدول عن اسم الفاعل إلى المصدر:

ومنه ما جاء بقوله: أَعْطَوْ غُواتَهم جَهْلاً مَقَادَتَهُمْ فَكُلُّهم في حِبَال الغَيّ مُنقَادُ

((وهو هنا مستاء مما جرى في قبيلته وكيف سلّموا قيادة أمورهم طوعا إلى من لا يدري حلّ الأمور ولا يدرك الخير من الشر ولا عجب أن يعمّ الجهل بينهم جميعا ويضلوا)) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٦٧(

وقد عدل عن صيغة اسم الفاعل (جاهلين) إلى المصدر (جَهْلاً) للدلالة على الكثرة والمبالغة في جهل أبناء قومه وكأنه أراد أن يبين لشدة استيائه منهم أن هذا الجهل قد تأصّل بهم وصار معهم كالشيء الواحد وكأن الجهل قد تجسد بهم، وهذا لا يتضح إلا بالمصدر، أما اسم الفاعل فلا يأتي بمثل هذه المبالغة والقوة في المعنى.

العدول في صيغ الجمع:

ومنه العدول عن المفرد إلى الجمع أو العدول عن الجمع إلى المفرد، واستعمال صيغ القلة والأصل الكثرة، أو الكثرة والأصل القلة، وكل ذلك يؤدي إلى تباين دلالة اللفظ، فقد وجدنا الشاعر يعدل عن صيغة المفرد إلى الجمع أو العكس مولدا معنى جديدا يتناسب مع السياق الذي وردت فيه صيغة الجمع.

فاستعمال الجمع بدل المفرد قد يكون إيذانا بعلو مقام المخاطب أو البعد عن مقامه، أو هو وسيلة من وسائل التقريب والاستعطاف، فالحالة النفسية للمخاطب يمكن أن تكون وراء الأساليب التي تمكنه من تكييف خطابه وفق أصناف المخاطبين (عبد الناصر مشري، ٢٠١٤م، ٣٣٦)

ومن ألفاظ الجمع التي وردت في شعر الأفوه (الآساد، الأفراس، معاشر، أقياد، الحساد، المغاور، المزاحف، الأنفس، مذانب وغيرها، وكثيرا ما كان يعدل الشاعر عن صيغ الكثرة إلى القلة، كما في قوله:

فلما أن رأونا في وغاها كآساد العرينة والحجيب

فالشاعر يصف حال خصومه حين شاهدوا هجومهم في ساحة الحرب كالأسود الهصورة المشهورة في عرينها أو في موضع الحجيب (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٥٩).

إذ نجده يستعمل جمع (آساد) وهو جمع تكسير من صيغ القلة (أفعال)، والأصل في مثل هذا الموضع أن يأتي بصيغ الكثرة حتى يتناسب مع سياق البيت الذي يتحدث عن شجاعة وقوة قومه غير أنه عدل عن الكثرة إلى القلة إشارة منه إلى إبداء أساه لعدم استطاعته الاشتراك في حرب خصومهم بني عامر، وكأنه أراد أن يبين أن قومه لا يصلون إلى تلك الكثرة إلا وهو معهم.

ومما يؤيد ذلك نجده يأتي بصيغة الكثرة في موضع آخر من القصيدة نفسها، إذ يقول: وخيلٍ عالكات اللجم فينا كأن كُماتها أُسْدُ الضَّريب

فهو يصف حالة خيل قومه في المعركة بأنها كانت تعلك لجمها لثورتها وعنفها، وفرسانها المدججون بالسلاح أشبه بالأسود الضارية. (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٦٠).

فقد وصف فرسان قومه هنا بالأسود الضارية لشجاعتهم وقوتهم، وعدل عن القلة إلى الكثرة فـ(أُسْد) على وزن (فُعْل) من صيغ الكثرة، وربما كان هذا العدول لبيان كثرة فرسان قومه وشجاعتهم بعد انتصارهم على أعداهم وفتكهم بهم، وهذا الوصف جاء بعد انهزام الاعداء وهروبهم.

وقوله: قتلنا منهم أسلاف صدْقٍ وأُبنا بالأُسارى والقعيب

فالأسلاف جمع سلف وهو المتقدم من القوم وقد استعمل الشاعر صيغة القلة (أفعال) هنا للدلالة على قلة قادة أعداء قومه وانهزاهم، إذ إن أبناء قومه قد قتلوا قادتهم وسدوا عليهم المنافذ نحو كل البقاع التي يطلبون النجاة إليها، فالشاعر هنا أراد نفي أن يكون هناك كثيرا من القادة عند أعداء أقومه، وقد قتلهم أبناء قومه فلم يكن الغرض من استعماله لصيغ القلة هو بيان عدد الذين قتلهم أبناء قومه.

وبعد أن تحقق النصر الكبير بقتل خير رجالهم وشجعانهم عاد أبناء قومه إلى الديار وهم يسوقون أسراهم وأعدادهم الغفيرة.(الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٦١).

فاستعمل هنا صيغة الكثرة (فعالى) (الأُسارى) جمع أسير ليدل بذلك على كثرة الاسارى من الأعداء.

ومن عدوله عن الكثرة إلى القلة قوله:

وأفراسٌ مُدلّلَة وبيضٌ كأن متونها فيها الوجاح

فالشاعر هنا يفتخر بحسبه ويزعم أن مجدهم العريق راسخ وهم ذوو أحساب أصيلة وطموحة (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٦٣) ، ومما يعتز به ويفخر به تلك الخيل المطيعة الناعمة الظهور، والسيوف البيضاء اللامعة، وقد عبّر عن هذه الخيل بصيغة القلة وهي (أفعال) وعدل عن الكثرة ولم يجمعها جمع كثرة فلا يعقل أن يفتخر ويعتز بهذا العدد القليل من الخيل، فإذا كان عددها لا يتجاوز العشرة فهو ليس مدعاة للفخر والاعتزاز..

وقد عدل إلى الكثرة بجمعه لمتون هذه الخيل جمع كثرة إذ قال: (ومتونها) وكأنه أراد أن يبين أن كثرة متونها دلالة على كثرتها.

وكذلك عدل عن القلة إلى الكثرة حين جمع السيوف جمع كثرة فقال (وبيض) جمع بيضاء على (فُعل) وهو من أوزان الكثرة.

ومن عدوله عن الجمع إلى المفرد ما ورد في قوله في الصداقة:

إن عابه الحُسّاد لا تعبأ بهم في هذه الدنيا فكم من هاذِ

فالشاعر هنا يتحدث عن الصديق وينصحه بأن لا يتفاجأ من الحُسّاد الذين يبحثون عن عيوبه وأن لا يهتم لكلامهم ولا يصدق عيوبهم التي يختلقونها فالذين يهذون حوله كثيرون.((الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٦٩)

وقد استعمل صيغة الجمع (فَعّال) التي تدل على الكثرة والمبالغة فقيل: ((إن هذا الجمع لتكثير القيام بالفعل لا لتكثير العدد)) (السامرائي،٢٠٠٧م، ١٣٠)

وقد أعطت هذه الصيغة دلالة واضحة لكثرة القيام بالحسد فقد وظفها الشاعر في باب التكثير والمبالغة في القيام بفعل الحسد لا للدلالة على كثرة أعداد من يقومون بالحسد فقد يكون شخصا واحدا لكنه كثير الحسد وهذا ما يؤكده الشاعر في آخر البيت إذ نراه يعدل عن الجمع إلى المفرد فيقول (فكم من هاذِ) جاء بكلمة (هاذٍ) بلفظ المفرد لتأكيد المعنى ولو أراد الجمع لقال (هُذاة).

ومن عدوله عن المفرد إلى الجمع ما جاء بقوله:

مُلْكُنا مُلْكُ لَقَاحٍ أوّلٌ وأبونا من بني أودٍ خِيارُ

فنجده هنا يفتخر بأنهم قوم لم يخضعوا لملك ولم يُسَبْ منهم أحد منذ قديم الزمان وأجداده من بني أود وهم خِيار القوم. (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٧٩)

جاء بلفظ (خيار) وهو جمع كثرة على وزن (فِعال) جمع (خيّر) بدل (خيّرهم) فالأب واحد وهو من خيار قومه، فجاء بلفظ الأب المفرد لكن القصد الأجداد لذا وصفهم بخيار القوم وجاء بلفظ الجمع للتأكيد على أن أجداده من خيار القوم وأفاضلهم.

ومثله قوله: ولقد تكون إذا تحلّلَت الحُبا منا الرئيسُ ابن الرئيس المَقْنَعُ

فالحُبا جمع حُبوة وهو جمع كثرة على وزن (فُعَل) وعدل به عن المفرد لأنه كان يفخر بقومه ودلّ به على كثرة نهوض قومه للحرب.(الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٩٤).

وقوله: فينا معاشِرُ لم يبنوا لقومهم وإن بنى قومُهُم ما أفسدوا عادُوا

ففي هذا البيت يعبر الشاعر عن ضيقه من تصرف قومه إذ يصف تقصير بعض فتيان قومه فيقول في قبيلتنا رجال لم يقدّموا أي خير لأهلهم وإن حاول بعض المخلصين بناء ما أفسدوا وإصلاحه عادوا إلى الإفساد ثانية فهم لا يفعلون خيرا ويفسدون كل خير (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٦٤)

وقد عبّر عن ضيقه هذا بأن عدل عن المفرد إلى الجمع وجاء بصيغة جمع الكثرة (مفاعل) وكان الأولى أن يأتي بلفظ المفرد إذ لا يمكن أن يكون كل أبناء قومه أو أغلبهم مفسدين، فقد جمع معشر على معاشر جمع كثرة فضلا عن كون هذه اللفظة تدل على الجمع، قيل: ((المعشر كل جماعة أمرها واحد، المسلمون معشر، والمشركون معشر، والأنس معشر، والجن معشر)) (ابن منظور، (عشر)،٤/٥٧٤).

وكأنه أراد أن يبين بذلك إن قبيلته كانت تضم مجاميع مختلفة منهم المصلحون ومنهم المفسدون وجاء بهذه الصيغة لتتناسب مع ما كان عليه قومه من ضلال وعدم استماع لمن ينصحهم ويرشدهم.

ومن عدوله عن الجمع إلى المفرد ما جاء بقوله:

والدهر لا تبقى على صَرْفِهِ مُغْفِرةٌ في حالقٍ مَرْمَرِيسْ

فقد ذكر الشاعر أن ((الدهر قاسٍ لا يُبقي أحدا على حاله حتى الوعول المتشعبة في قمم الجبال الملساء ينال منها وتؤذيها نوائبه)) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٣)

فجاء بلفظ المفرد (صرفه) وعدل به عن الجمع (صروفه) أي أحوال الدهر ونوائبه فالدهر الذي يغير أحوال الجميع حتى حال الوعول في قمم الجبال لا يمكن أن تكون له حال واحدة أو صرف واحد كما ذكر الشاعر بل له أحوال متعددة متغيرة تغير كل شيء ولا تبقي أحدا على حاله، وجاء عدوله هذا عن الجمع للتحقير والتقليل من شأن الدهر وتعظيم شأن قومه الذين يفتخر بهم، وكأن كل هذه الأحوال والنوائب التي نالت حتى من الوعول لا تؤثر على أبناء قومه وكأنها عندهم حال واحد.

العدول بصرف الممنوع من الصرف:

يميل كثيرٌمن الشعراء إلى صرف الممنوع من الصرف، وهذا ما عدّه القدماء رجوعا إلى الأصل فالأصل في الأسماء هو الصرف، قال المبرّد: ((واعلم أن الشاعر إذا اضطر صرف ما لا ينصرف جاز له ذلك لأنه إنما يردّ الأسماء إلى أصولها، وإن اضطر إلى ترك صرف ما ينصرف لم يجز له ذلك، وذلك لأن الضرورة لا تجوز دخول العلة)) (المبرد، ١٩٩٤، ٣/ ٣٥٤)

فتنوين الاسم الممنوع من الصرف (صرف الممنوع من الصرف) هو رد إلى الأصل، وحذف التنوين من الاسم المنصرف الذي يمثل (منع صرف المنصرف) هو خروج عن الأصل، وقد ذكر القدماء إن الشاعر يلجأ اليهما اتقاء كسر البيت، إذ يلجأ الشاعر صرف الاسماء أو منعها من الصرف إقامة للوزن العروضي للبيت. ومن الاسماء التي منعها الأفوه من الصرف وكان حقها الصرف كلمة (أود) كما في قوله:

إنّا بنو أوْدَ الّذي بِلِوائه مُنِعَتْ رِئَامُ وقد غزاها الأجدَعُ (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٩٣)

فقد حذف التنوين من كلمة (أود) وجرها بالفتحة ومنعها من الصرف، وما ذلك إلا لإقامة الوزن العروضي إذ لو لم يفعل ذلك لانكسر البيت.

وكثيرا ما جاء بهذه اللفظة مصروفة ولم يمنعها من الصرف، كما في قوله:

نحنُ أوْدٌ ولأودٍ سُنَّةٌ شَرَفٌ ليس لنا عنها قَصار (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٧٦)

وقوله: أبلغ بني أوْدٍ فقد أحسنوا أمسِ بضربِ الهامِ تحتَ القُنُوسْ (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٨)

ومن الأسماء التي ردّها إلى الأصل وصرفها وكان حقها المنع من الصرف لأنها جاءت على صيغة منتهى الجموع (مفاعل) كلمة (مذانب) بقوله:

ومَذانبٌ ما تُستعارُ وجَفْنَةٌ سوداءُ عند نشيجها ما ترفعُ (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٩٢)

فالمذانبُ (مفردها المِذنَب وهو مسيل الماء والجدول إذا لم يكن واسعا)(ابن منظور، (ذنب)، ٣٩١/١) إذ يفخر الشاعر بأن مسايل الماء ممنوحة لهم وملكهم. (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٩٢).

العدول بالحذف:

والحذف يكون بحذف حركة، أو بحذف حرف أو أكثر من الصيغة الصرفية لأغراض معنوية تخدم السياق، فالحذف والزيادة في الأبنية الصرفية إنما يؤتى به لزيادة معنى، كما قالت العرب كل زيادة في المبنى ترافقها زيادة في المعنى، كذلك فإن كلّ حذف في البنية لابد من أن ترافقه دلالة خاصة تتوافق مع السياق. وقد وجدنا الأفوه يكثر من الحذف في الصيغ الصرفية، سواء أكان بالحركات أم بالحروف، وكما يأتي:

أولا: حذف الحركات:

فالحذف كما يذكر القدماء إنما يأتي به الشاعر للضرورة أو طلبا للخفة مراعاة لسياق الخطاب، قيل: ((إن العرب إذا حذفت من الكلمة حرفا إمّا ضرورة أو إيثارا))(ابن جني، ١٩٥٧، ٣/ ١١٢). ومن الحذف بالحركات الذي ذكره الأفوه ما جاء بقوله:

فأهلُ أن تُفْدَوْا إذا هَبْوةٌ جَرَّت علينا الذَّيلَ بالدَّردَبيسْ

فقد حذف الشاعر حركة الاعراب من كلمة (الدردبيس) ومن الألفاظ كلها التي جاءت في آخر أبيات هذه القصيدة مراعاة للقافية. وكذلك حذف التنوين من كلمة (أهلُ) والأصل فيها أن تأتي بالتنوين إذ إن معنى البيت (فأنتم يا جيراني أهلٌ لي وتستحقون أن تفدوا إذا هبّ علينا غبار الحروب وداهمتنا الدواهي) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٤) فحذف التنوين جاء هنا لإقامة الوزن العروضي إذ لو ذكر التنوين لأدّى إلى كسر البيت.

ومنه ما جاء بقوله: الخِلُّ راضٍ شاكِرٌ في عهدهِ وَعَدُوُّهُ المقهور منه آذِ

إن عابَهُ الحُسّادُ لا تَعْبَأْ بهمْ في هذه الدّنيا فكم من هاذِ

فقد حذف التنوين من (آذِ) و(هاذِ) مراعاة للقافية، فأصل (آذِ) (آذٍ) وهو اسم فاعل من (أذي) قيل: ((أذي الهمزة والذال والياء أصلٌ واحدٌ وهو الشيء تتكرّهه ولا تقدر عليه، وتقول آذيتُ فلانًا أوذيهِ)) (ابن فارس،١٩٧٩م، (أذي)، ١/ ٧٨). وأصل (آذٍ) (آذي) حذفت الياء وعوّض عنها بالتنوين فالتنوين هنا عوض عن الياء المحذوفة وقد حذفه الأفوه مراعاة للقافية. ومثله حذف التنوين في (هاذِ) إذ الأصل (هاذٍ) من (هذى يهذي) الّذي أصله (هاذي) حذفت منه الياء وعوض عنها بالتنوين فأصبح هاذٍ.

وقوله: هابٍ هِبِلٌ مُدِلٍ يَعْمَلٌ هَزِجٌ طَفْطافُهُ ذو عَفاءٍ نِقْنِقٌ جَنِفُ (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٩٨)

إذ حذف التنوين من (جَنِفٌ) مراعاة للقافية، فالأصل في (جَنِفُ) هو (جَنِفٌ).

وقوله: كيف الرشادُ إذا ماكنت في نَفَرٍ لهم عن الرُّشْدِ أغلالٌ وأقيادُ؟ (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٦٧)

فقد حذف التنوين من (أقيادٌ) مراعاة للقافية، فأصل (أقيادُ) (أقيادٌ)، قيل: (القيدُ معروف والجمع أقيادٌ وقيودٌ) (ابن منظور، (قيد) ٣/ ٣٧٢).

وقوله: إنّ النجاةَ إذا ما كنتَ ذا بَصَرٍ من أَجَّةِ الغَيّ إبعادٌ فإبعادُ (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٦٨)

حذف التنوين من (إبعاد) الثانية لمناسبة القافية، فإبعاد الأولى جاءت بالتنوين على الأصل أما الثانية فحذف منها التنوين مراعاة للقافية.

ثانيا: حذف الحرف:

وهذا الحذف يكون في الأسماء والأفعال، ومن الحذف في الأسماء ما جاء بقوله:

هُمُ صبَّحوا أهل الطِّفافِ وسِرْبَةٍ بِشُعْثٍ عليها المصلتون المَغاوِرُ (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٠)

فالمَغاوِرُ: ((بفتح الميم: جمع مُغاوِر بالضمّ، أو جمع مِغْوار، بحذف الألف أو حذف الياء من المغاوير، والمِغوار المبالغ في الغارة)) (ابن منظور، (غور) ٥/ ٣٦)

فقد جمع (مُغاور) على (مَغاور) والأصل (مَغاوير) فحذف الياء طلبا للخفة إذ إن المقام يتطلب الخفة والسرعة فالشاعر هنا يفخر بقومه ويصف شجاعتهم وسرعتهم في الإغارة على الأعداء (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٠). وكذلك إن كانت مِغوار فتجمع على (مَغاور) بعد حذف الألف من (مِغْوار) طلبا للخفة والسرعة.

أما الحذف في الأفعال فكثيرا ما كان بحذف التاء في أول الفعل المضارع المزيد، كما في قوله:

وإذا عَجاجُ الموتِ ثارَ وهلْهَلَتْ فيه الجيادُ إلى الجيادِ تَسَرَّعُ (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٩١)

فالمقام هنا يتطلب السرعة والخفة إذ يصف الشاعر حالة الحرب وكثرة الموتى وسرعة الخيل فيها وتتابعها، وسرعة الأحداث التي تقع في الحرب، فهذه الحركة الدائمة والسرعة تتطلب من الشاعر الخفة والسرعة، فكان العدول بحذف حرف التاء من الفعل (تَسَرَّعُ) مراعاة للخفة والسرعة في الأحداث، إذ إن أصل الفعل (تَتَسَرَّعُ).

وقوله: فباتتْ كلابُ الحيّ يَنْبَحنَ مُزْنَهُ وأضْحَتْ بنات الماءِ فيها تَمَعَّجُ

فأصل (تَمَعَّجُ) (تَتَمَعّجُ) حذفت التاء طلبا للخفة والسرعة، إذ يصف الشاعر الغيم وكيف (أحسّت الكلاب بكثرة السحب المثقلة بالماء ونبحتها، حتى هطلت الأمطار ومن كثرة المياه المتجمعة سعدت الضفادع وراحت تعوم وتتلوى) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٦٢) فهو يصف سرعة حركتها في الماء.

وقوله: من دونها رُتَبٌ فأدنى رُتْبةٍ منها على الصّدعِ الرّجيلِ تَمَنَّعُ

فقد حذف التاء من (تَمَنّعُ) التي أصلها (تَتَمَنّعُ)، إذ يصف حال الدهر وسرعة تغيره، (وكيف لا يدوم عليه أحد، ويصف حال القمم الشاهقة التي تتبعها قمم دونها ارتفاعا على درجات حيث تمتنع على المرء لوجود الشقوق القوية. فهذا الدهر ينال أعلى الناس مقاما وأدناهم على السواء) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م،٩٤)، وهذا التغير يتطلب الخفة والسرعة لذا عدل إلى حذف التاء ليدلّ على السرعة والخفة.

العدول بالزيادة:

وتكون الزيادة بزيادة حرف أو أكثر للصيغة الصرفية، لدلالة خاصة تتناسب مع السياق، والزيادة تكون في صيغ الأسماء والأفعال، قال ابن جني: ((وبعد فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثمّ زيدَ فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به.

وكذلك إن انحُرِف به عن سمته وهَدْيتِهِ كان ذلك دليلا على حادث متجدّد له)) (ابن جني،١٩٥٧م، ٣/ ٢٦٨) فكل عدول بالزيادة في الألفاظ هو عدول في المعنى.

وكانت الزيادة في صيغ الأفعال أكثر منها في الأسماء عند الأفوه، وكما يأتي:

الزيادة في الأسماء:

وتمثلت هذه الزيادة عند الأفوه في صيغ التصغير، إذ إن للتصغير أبنية صرفية لها دلالات خاصة، والتغيير في التصغير يحدث بزيادة ياء ساكنة في بنية الكلمة وتغيير في حركاتها وسكناتها، فعند تصغير الاسم الثلاثي يضمُّ أوله ويفتح ثانيه، ولهذه التغيرات دلالات خاصة. وبعد النظر في ديوان الأفوه وجدنا استخدامه للألفاظ المصغرة كان قليلا. ومن الألفاظ التي عدل فيها إلى التصغير ما جاء بقوله:

كانوا كمثل لُقَيْمٍ في عشيرتهِ إذ أُهلِكَتْ بالّذي قد قدّمتْ عادُ

فقيل: (لُقيْم: اسم تصغير لقمان على تصغير الترخيم. ويجوز أن يكون تصغير اللَّقم. وهو ابن أخت لقمان عاد) ((الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٦٥، ابن منظور، (لقم)١٢/٥٤٦)

فالشاعر هنا يحاول تقريع أبناء قومه إذ يقول: ((قومي المقصرون منهم مثلهم مثل ابن اخت لقمان الحكيم الّذي لم يتّعظ بنصائح خاله فأودى به تجبره وجهله إلى التهلكة)) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٦٥). إذ عدل إلى التصغير للتقليل من شأنهم وتحقيرهم.

وأحيانا نجده يعدل بالبنية عن المألوف كما في قوله:

بمَناقبٍ بيضٍ كأنّ وجُوهها زُهرٌ قُبَيْلَ تَرَجُّلِ الشمسِ

فالشاعر هنا يفخر بقومه ((فيصفهم بأنهم بشمائل نقية صافية، ووجوههم تشبَّه بإشراقتها بنيّرات لامعة قبيل نهوض الشمس يريد أن لمعانها لم يكن من أثر الشمس لأنها تلمع قبل شروقها)) ((الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٩)

فقد عدل بلفظ (قُبيل) عن (قبل) للتأكيد أن لمعان وجوههم لم يكن من أثر الشمس لأنها كانت تلمع والشمس لم تشرق بعد، فجاءت صيغة التصغير للمبالغة والتأكيد.

الزيادة في صيغ الأفعال:

وقد وجدنا الأفوه يعدل كثيرا عن الأفعال المجردة إلى الأفعال المزيدة، إذا إن لكل فعل من هذه الأفعال المزيدة دلالات خاصة بكل صيغة منها، تميزها عن غيرها وقد تشترك بعضها في بعض من تلك الدلالات، ومن هذه الأفعال ما ذكره بقوله:

والبيتُ لا يُبْتَنى إلاّ له عَمَدٌ ولا عِمادَ له إذ لمْ تُرْسَ أَوْتادُ

فالشاعر هنا في مقام النصح والإرشاد وهو حكيم القوم المشهود له فيقول لأبناء قومه: ((إن المنزل لا يمكن أن يبنى من غير أن يرسخ في وسطه العمود، وهذا العمود لا يثبت في مكانه من غير أن يُشدَّ إلى الأوتاد من أطرافه)) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٦٥)

فهو يحثّ أبناء قومه على التشارك والتعاون فيما بينهم لذا عدل من صيغة المجرد (يبنى) إلى صيغة المزيد (يبتنى) التي من أشهر معانيها المشاركة والتشارك فجاء بهذه الصيغة للتأكيد على المشاركة والتعاون فيما بينهم.

ومنه قوله: وهالوا عَليهِ التُّرْبَ رَطبًا ويابسًا ألا كلُّ شيءٍ ما سِوى تلك يجتبر (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٧١)

فعدل بـ(يجتبر) عن (يجبر) ليبين الحال التي كان عليها أبناء قومه وكيف كان يجبر بعضهم بعضا، فلو قال (يجبر) لتبين منها تفرقهم وتشتتهم وعدم المساعدة فيما بينهم، إما يجتبر فقد دلّت على عكس ذلك، وقيل: (جبرت فلانا فاجتبر أي نزلت به فاقة فأحسنت إليه. واستجبرته إذا كان ذلك منك بتعاهد حتى تبلغ غاية الجبر) (الفراهيدي، ١٩٨٤م (جبر)،٦/ ١١٦).

وقوله: قِفوا ساعة فاستمتعوا من أخيكُمُ بقُربٍ، وذكرٍ صالحٍ حينَ يُذَكَرْ

إذ عدل بـ(استمتعوا) عن (تمتّعوا) لأنه كان يصف (حالة النزع والوفاة، وماذا كان العرب في زمانه يفعلون، وكيف يتألمون) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٧٢)

وكأنه يطلب منهم أن يتمتعوا من أخيهم، وجاء بالفعل (استمتع) لأنه يدلّ على الطلب، ولأنه لم يعد موجودا بينهم فيشاركهم ولا يستطيعون مشاركته فالتمتع هنا إنما يحصل من طرف واحد لذا عدل بصيغة (استفعل) التي تدلّ على الطلب ولا تدل على المشاركة كون الخطاب يقتضي الطلب وليس المشاركة.

وقوله: فقد أُفَدَّى عند وقع القنا وأُدَّعى من المقام البئيس

عدل بصيغة (أُفَعَل) التي تدلّ على الكثرة والمبالغة عن صيغة (أُفْعَل) كون المقام يتطلب المبالغة فالشاعر هنا يفخر بأبناء قومه ((إن كنت ترين ما قد حلّ بي فإنّ حولي رجالاً يفدونني بأرواحهم عند تشاجر الرماح في الحرب، ويعلون من مقامي البائس))((الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٢) ففي هذه الصيغة دلالة على كثرة أبناء قومه فضلا عن كثرة فدائهم له فجاء بهذه الصيغة للمبالغة والكثرة.

وقوله: إذ جمَّعت عدْوانُ فيها على عِداتِها من سائسٍ أو مَسُوسْ (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٥)

عدل عن (فَعَل) إلى (فَعَّلَ) فقال جَمَّعَ للدلالة على المبالغة والكثرة، فصيغة (فعّل) تدل على المبالغة والكثرة، والسياق يقتضي المبالغة والكثرة، إذ بيّن كثرة أعدائه وتجمعهم ليدل بذلك على شجاعة قومه، فمع هذه الكثرة وهذا التجمّع استطاع قومه التغلب عليهم.

تخفيف الهمزة:

وهي ظاهرة قليلة الورود في شعر الأفوه، فالأصل تحقيق الهمز وليس تخفيفها، لذا نجده هنا يميل إلى الأصل، وخرج عن هذا الأصل بقوله:

يَقُوْنَ في الحَجْرَة جِيْرَانَهُمْ بالمال والأنُسِ من كُلِّ بُوسْ

فأصل (بُوْس) (بؤس) و(البؤس بالضم وسكون الهمز الضُّرّ ويجوز التخفيف) (الفيومي، ١٩٨٧م،١/٦٥)

فآثر التخفيف لأن الهمزة لها أثر قويّ في الكلام، والكلام هنا لا يحتاج إلى القوة والشدّة، إذ يبين الشاعر((صفات قومه وكيف يحفظون حق الجار ويحمونه بالمال والأنفس))(الأفوه الأودي، ١٩٩٨م، ٨٤.(

تذكير المؤنث:

قال ابن جني: ((وتذكير المؤنث واسع جدا لأنه ردّ فرع إلى أصل)) (ابن جني،٢/ ٤١٧). فالأصل هو المذكر وعند تذكير المؤنث فهو رجوع إلى ذك الأصل، وقد عدل الأفوه عن المؤنث إلى المذكر كما في قوله:

وجاء نساء الحيّ من غير أَمْرةٍ زفيفًا كما زَفَّتْ إلى العَطَنِ البَقَرْ

فقال: (جاء نساء الحيّ) ولم يقل جاءت، فلفظ (النساء) اسم يدلّ على المؤنث لذا يجب أن يأتي معه الفعل مؤنثا، لكنه ردّه إلى الأصل وهو المذكر، فالشاعر هنا (يرثي نفسه ويصف سرعة توافد نساء الحي نحوه من غير أن يطلب منهن كما تسرع الإبل إلى مباركها) (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م،٧٠)، فربما حذف التاء هنا جاء طلبا للخفة والسرعة التي اقتضها المقام، أو ردا على الأصل.

وقوله: فَرَمُّوا له أثوابه وتفجّعوا وَرَنَّ مُرِنّاتٌ، وثارَ به النّقَرْ

فقال: (وَرَنَّ مُرِنّاتٌ) ولم يقل (وَرَنَّت) فالمرنات هن النساء التي ترفع أصوات بكائها عليه، وقيل: (الرنّة الصيحة الحزينة يقال عودٌ ذو رَنّةٍ والرنين الصياح عند البكاء، والإرنان الصوت الشديد)) (الفراهيدي، ١٩٨٤م، ٨/ ٢٥٤)

فالشاعر يرثي نفسه ويصف حاله بعد الموت وحال نساء الحي وكيف ترفع تلك النساء أصواتها بالبكاء عليه (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م،٧١). فحذفت التاء طلبا للخفة والسرعة التي اقتضاها الحال.

وأحيانا نجده يخرج عن الأصل، إذ يعدل عن المذكر إلى المؤنث، كما في قوله: وأَفْرجُ الأمرَ إذا أحجمتْ أقرانهُ معتصمًا بالشُّؤوسْ

فالأقران المتكافئون والنظائر وهو جمع قرن أي النظير وهو لفظ مذكر غير أن الشاعر أنّثه بإضافة تاء التأنيث إلى الفعل، فالشاعر هنا يبين قدرته على حل الأمور العسيرة وخوض الصعاب حين يمتنع ذوو الكفاءة مستعينًا بالرجال الحازمين الصارمين، (الأفوه الأودي، ١٩٩٨م،٨٣) وكأنه أراد أن يستخفّ ويحتقر من يمتنع ويحجم عن حلّ الأمور، فأنّث الفعل للتقليل من شأنهم.

ومثله قوله: وقد مَرَّت كُماةُ الحربِ منّا على ماء الدفينةِ والحجيلِ

فالكماة: (الشجعان أو لابسوا السلاح، مفردها الكميّ)(ابن منظور، ١٥/ ٢٣٢،الأفوه الأودي، ١٩٩٨م،١٠٣) وهو لفظ مذكر عدل به الأفوه إلى المؤنث حين أنّث الفعل وقال مَرّت ولم يقل مَرَّ فالأصل أن يقال: مَرَّ كماة الحرب. وهو هنا يصف الشجعان من أعدائه وأنّث الفعل للتقليل من شأنهم.

الخاتمة:

١- تكمن أهمية العدول الصرفيّ في كونه يربط علم الصرف بعلم الدلالة، فعلم الصرف منبع للتراكيب اللغوية والمعاني الصرفية.

٢- لم يكن العدول الصرفي في الغالب لمخالفة قواعد اللغة، بل لأغراض معينة فكل خطاب لابد من أن يكون ملائما لحال المتلقي، لذا وجب في لغة الخطاب بوصفها أداة للتواصل أن لا تتضمن ما يقف حائلا دون التواصل.

٣- وجدنا في شعر الأفوه كثيرا من العدول في صيغ المشتقات ولا سيما اسم الفاعل فكثيرا ما نجده يعدل عن صيغة اسم الفاعل إلى اسم المفعول أو إلى المصدر أو إلى صيغ المبالغة كـ(فعيل وفعول وفعّال)، فكان عدوله عن اللغة المعيارية إلى صيغ مختارة فيها خصوبة في الدلالة وتوسيع للمعنى، وما كان ذلك إلا لإضافة قيم دلالية للمتلقي تتناسب مع سياق الخطاب.

وكذلك كثيرا من العدول في صيغ الجمع، التي تنوعت في العدول عن الكثرة إلى القلة أو العكس والعدول عن المفرد إلى الجمع أو العكس.

والعدول في الحذف والزيادة في صيغ الأسماء والأفعال.

٤- تكمن قدرة الشاعر وإبداعه في قدرته على التحكم بصياغة الألفاظ حيث تعبر عن الواقع الشعري، وهذا ما يتحقق من تلك التحولات في الصيغ التي تفي بمطالب السياق والمخاطب.

المصادر والمراجع:

[استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤م].

[الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدّي، ط٣،الدار العربية للكتاب، تونس].

[الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، عبد القادر عبد الجليل، ط١، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠٢م].

[البديع، عبدالله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، إغناطيوس كراتشقوفسكي، ط٣، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢م].

[الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجّار، المكتبة العلمية، ج١، ١٩٥٢م، ج٣، ١٩٥٧م].

[ديوان الأفوه الأودي، شرح وتحقيق: محمد التونجي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م].

[كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي،(١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤م].

[لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت].

[المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م]

[معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، ط٢، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٧م].

[معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م].

[المقتضب، أبو العبّاس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمه، ط٢، لجنة إحياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٩٩٤م].

الرسائل والأطاريح: [دلالات العدول الصرفي في القرآن الكريم، عبد الناصر مشري، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر. باتنة، ٢٠١٣- ٢٠١٤م].